Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذه المرحلة في طور النمو فإنها لا تشكّل، بنظر «بياجيه»، مصدر هذا النشاط الترميزي.

٢ ـ ٤ ـ النظرية التكوينية

إنّ السلوك الكلامي الذي تتم ملاحظته خلال النموّ اللغوي هو، برأي «بياجيه»، سلوك في حالة تكوُّن دائم، وينشأ عن التفاعل بين الطفل وبيئته بحيث يساهم الطفل بصورة فعّالة في مسار النمو، كما أنه يرتبط بالنمو وبمراحله المختلفة. فهو ليس نموًّا لغويًّا فقط، بل هو ظاهرة معقّدة ترتبط بمراحل التطوّر الذهني بشكل عام.

ترتسم العوامل الوراثية في النمو اللغوي، وهذا النمو لا يمكن أن يُعدَّل في اتجاهه كيفما اتفق. هذه العوامل الوراثية لا تظهر على هيئة بنى جاهزة ومُعطاة من الأساس، فما هو فطري بالضبط إنما هو عمل البنى ذاتها(٨).

يتمّ اكتساب اللغة بناءً على تنظيمات داخلية تبدأ أوّلية، ثم يُعاد تنظيمها وفق تفاعل الطفل مع البيئة الخارجية.

تجدر الإشارة، هنا، إلى أنّ «بياجيه» حين يتكلّم على وجود تنظيمات داخلية فإنه لا يعني، بالضرورة، المعنى نفسه الذي يعنيه «تشومسكي»، وهو وجود نماذج للتركيب اللغوي أو قواعد لغوية عامة، بقدر ما يعني وجود استعداد للتعامل مع الرموز اللغوية التي تعبّر عن مفاهيم تنشأ من خلال تفاعل الطفل مع البيئة منذ المرحلة الحسّيّة ـ الحركية.

ويركّز «بياجيه» الاهتمام على علاقة اللغة بالفكر فيقول:

«لا تكفي اللغة لتفسير الفكر، وذلك لأنّ البنى التي تميّز الفكر تمتدّ جذورها في الفعل وفي الأواليات الحسّية ـ الحركية الأشد عمقاً من الواقع اللغوي. إلا أنه من المؤكد، من جهة أخرى، أنه بقدر ما تصبح فيه بنى الفكر أكثر دقةً، بقدر ما تصبح اللغة أكثر ضرورة لاكتمال تكوّن هذه البنى... توجد إذاً بين اللغة والفكر دائرة تكوينية بحيث يستند أحدهما بالضرورة إلى الآخر في تكوين متلاحم وفعل متبادل.

---

(٨) M. Piattelli-Palmarini, **Théories du Langage, Théories de L'apprentissage: Le Débat entre J. Piaget et N.Chomsky**, pp. 290 sV.